

بكركي، مسؤولية وآمال وعلامات استفهام !!!

الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

قليلون هم رجال الدين والدنيا المقيمون في لبنان في هذا الزمن الأغبر، زمن صعاليك السياسة، وقناديل التبعية والانهازامية والشحن المذهبي. قليلون هم الذين لا يزالون يحافظون على قيمهم ومبادئهم بكبرياء، ويدافعون بأرقى الوسائل الإنسانية والحضارية عن وحدة وهوية وطن الأرز، و متمسكين عن إيمان بثوابته وبضرورة الحفاظ على حرية وكرامة بنيه. من بين القلة هذه يبرز اسم غبطة البطريرك صفير الذي يسمي الأشياء بأسمائها، ينتقد، يتمنى، يغضب، يرفع الصوت، يطالب ويكرر المطالبة، ويلح عليها كصوت صارخ في البرية. يحمل غبطته أعوامه الـ ٨٣ ويحلم بقلب شاب بغد لبناني أفضل. يعترف بصعوبة الوضع الراهن لكنه مؤمن أنه مرت على وطن الرسالة ظروف أصعب من التي يرزح تحت نيرها في الوقت الراهن لكنه صمد وانتصر وبقي ومعه بقي اللبنانيون. لقد أُعطيَّ الصرح البطريركي الماروني مجد لبنان، فصانه واستمات بالدفاع عنه حتى أصبح هو ولبنان صنوان، مثلما لبنان والحرية صنوان لا يفترقان.

لم يكن هذا الصرح يوماً للموارنة فقط، وإنما لكل الوطن ولكل مواطنيه، وهذه حقيقة ملموسة ومعاشة منذ ١٥٠٠ سنة، لا يمكن لأحد القفز فوقها. لقد تعود اللبنانيون وخصوصاً في الشدائد والأيام العجاف أن تتجه أنظارهم إلى الصرح الماروني لأنه في قناعة الكثيرين منهم هو خشبة الخلاص يوم يفشل الجميع في مواجهة أي خطر يهدد لبنان الإنسان والكيان والاستقلال والتعايش. والصرح هذا كان دائماً عند حسن ظن اللبنانيين ولم يخيب آمالهم.

من هنا يهم اللبنانيين أن تكون زيارة غبطة البطريرك صفير إلى الولايات المتحدة المقررة في أوائل آذار المقبل بحجم أمانيتهم وتطلعاتهم وأن تأتي نتائجها بالترياق لعة احتلال وطنهم كونهم يعلمون أن واشنطن هي مركز القرار الدولي الأوحد وهي الوحيدة القادرة على مساعدتهم إن أرادت لاسترجاع وطنهم المسلوب. إلا أنه في معلومات إلى المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية LCCC وردت من واشنطن أن غبطته يرفض أن يضم برنامج زيارته أي نشاط سياسي أو اجتماعات لها طابع سياسي. وتقول المصادر نفسها أن الزيارة هذه وهي الثانية له للولايات المتحدة خلال عامين ستستمر نحو ١٥ يوماً سوف تكون صرف رعية. وفي معلومات أولية أن الزيارة تبدأ في هيوستن في ٧ آذار حيث يدشن غبطته كنيسة سيدة الأرز التي شيدها الأباء المرسلون اللبنانيون ويلتقي أبناء الجالية اللبنانية قبل أن يسافر في ١٠ منه إلى سانت لويس حيث

يمضي أسبوعاً ويلتقي الجالية ويلقي محاضرة في جامعته. ثم ينتقل إلى واشنطن حيث يحاضر في جامعته ويلتقي أبناء الجالية.

ويرى المراقبون في هذا التطور، أي رفض غبطته ممارسة أي نشاط سياسي خلال الزيارة نقاط بارزة ومهمة تدعو إلى التساؤل، فهل يكون موقف الفاتيكان من موضوع الحرب على العراق هو الذي يملئ هذا التصرف؟ أم أن رؤية بكركي نفسها وقراءتها لمجمل الأحداث تدفع بسيدها إلى عدم الخوض في هذه الأيام بشأن حساس كهذا، سيما وأن موقف الكنيسة العراقية لا يعادي الظلم الحالي، لا بل يتخوف البعض من أن التغييرات الجديدة إذا لم تتم بإشراف مباشر من الولايات المتحدة، قد تؤدي إلى أحداث قد تتأثر بها المناطق المسيحية في العراق، وينتج عنها مزيد من الآلام؟ أم أن زيارة الحريري الأخيرة إلى بكركي قد تضمنت رسالة سورية فيها تهديدات مبطنة ومخاوف رغبت دمشق أن يسمعها البطريرك من رئيس الحكومة نفسه قبل قيامه بزيارة الولايات المتحدة؟ أم إن غبطة البطريرك الذي لم يحظ في زيارته الأولى بالاهتمام الكافي وعلى المستوى المطلوب من إدارة الرئيس بوش، الجديدة يومها والمنشغلة في أمور التسلم، جعلته يرفض مسبقاً أن يترك المجال للاعتقاد بأنه يسعى للتقرب منها في هذه المرة؟

كل هذه التساؤلات أو بعضها قد تكون وراء هذا الرفض ولكن تبقى الكلمة الأخيرة والتي لم تبح بها بكركي بعد نقطة تكهن سوف يسأل عنها المواطن اللبناني في الوطن وفي الاغتراب، لأن الوضع الراهن حساس ومصيري ويجب أن يكون للبنان رأي فيه سيما وأن الحكم قد تخلى عن رأيه في أية علاقة دولية وسلم مصير لبنان في جنوبه لقرار حزب الله وتقديره، بحسب وزير الإعلام اللبناني، وفي الشأن الدولي لسوريا التي تتصرف بدون حاجة للسؤال و"بالمونة" كما يبدو، وقد ترك مصير البلاد مبهماً لا يشارك اللبنانيون فيه بينما هم يتحملون تبعاته مجبرين يدفعون من دماء أبنائهم ومن استقرار بلادهم ولا يستطيعون حتى الاعتراض أو إبداء الرأي، وهم كانوا يتأملون أن يكون لبكركي، التي عودتهم أن تكون الضمير، الاتصالات والشأن في غياب الممثلين السياسيين عن الساحة اللبنانية. فهل يكون في موقف غبطة البطريرك حكمة الشيوخ؟ أم تقيّة المشرقيين؟ أم خوف لبناني من تسارع الحقد وارتداداته على من لم يعد عندهم غطاء يحميهم ولا دولة تؤمن القانون وها هم يستعيدون بالذاكرة عهد القهر والتبعية وأيام الظلم الذي لم ينسوه بعد على عهد جمال باشا أو فتاوى ابن تيمية؟